# اللامعقول وكيف ينبغي أن نفهمه !

بقلم محمود عبد الوهاب

عندما ظهرت لاول مرة على المسرح أعمال يونسكو وبيكيت وجينيه وأداموف ثارت ضدها موجة عنيفة من السخط والازدراء ، وبرم بها ، وهم في مقاعدهم ، جمهور المتفرجين ، وتناولها النقاد بالاستخفاف ، بينما لمحت فيها فئة ضئيلة من المثقفين معالم محاولة فنية جديدة ، ذلك لان هذه المسرحيات قد ازدرت كل التقاليد التي التزم بها المسرح خلال قرون طويلة ، وبدت كما لو ان كتابها تعمدوا اسخاط الناس واستفزازهم بهذه المسرحيات الغريبة التي لا تثير موضوعا مألوفا ولا تستخدم لغة مفهومة ولا تعرض أشخاصا واضحي القسمات والملامح ، بينما اعتاد الناس منذ أمد غير يسير أن يبددوا متاعبهم اليومية بمشاهدة مسرحيات رصينة ذات موضوع مقنع ولغة منطقية تختلف بالاساس عن هذه المسرحيات الجديدة التي لا يمكن ان يقال عنها ، بالقياس الى مفاهيم النقد التقليدي ، انها ليست مسرحيات شنيعة الرداءة فحسب بل انها لا تستحق حتى ان يطلق عليها اسم مسرحية !

واليوم بعد أن ألقت هذه المسرحيات الجديدة بسحرها وتأثيرها على الفكر المعاصر عموما ، وعلى المسرح بوجه خاص ، فقد تناولتها المجلات الادبية والصحف على نطاق واسع وبروح تجاري في أغلب الاحيان مما أفسد كثيرا من مفاهيمها كأية حركة أدبية يافعة متألقة .

ومما يزيد المسألة تعقيدا ان أصول النقد التقليدي لا تصلح أن تكون أساسا لتقييم المسرح الجديد وفهمه مما يجعل عبء الدراسة قائما بشكل أساسي على جهد الكاتب الذي يتصدى لدراسته .

ان الاجابة عن هذا السؤال : كيف ينبغي أن نفهم اللامعقول ؟ لا يمكن أن تكون اجابة قاطعة بقدر ما هي محاولة الى جانب العديد من المحاولات التي بذلت لفهم طبيعة مسرح اللامعقول ومدلولاته .

وكيف يتسنى لنا أن نفهم اللامعقول فهما تاما معقولا ؟ — بل أليست محاولة تعقيل اللامعقول واخضاعه الى منطق صارم عملا لامعقولا هو الاخر ؟ واذا كان مسرح اللامعقول ، لا يعقل ، ولا يدرك ، ولا يستوعب ، أفلا يجدر بنا ان نقول عنه انه فن عابث شكلي محض ؟ الواقع ليس كذلك . والمسألة ليست بهذه البساطة ، فلكتاب اللامعقول موقف ايضا . انهم يعتقدون — وهذه وجهة نظرهم الخاصة — بافلاس كافة مذاهب الفكر التي تسعى الى ايضاح كلي للواقع ، ويعتقدون ايضا باهتزاز القيم الاجتماعية والروحية في هذا العصر وانهيار الثقة بكثير من اليقينات السائدة ، وان العالم في منتصف القرن العشرين بدأ يفقد معناه ، وان القيم الثابتة قد انحلت والاسس الوطيدة للامال والتفاؤل قد تحطمت ، وقد وجد الانسان نفسه اخيرا وجها لوجه أمام عالم مخيف ولا منطقي ، وبعبارة أخرى أمام عالم من العبث واللامعقول ، ولهذا فانهم — كفنانين — مضطرون ، بدافع لا يقمع ، الى التعبير عن رؤياهم الخاصة للعالم بطريقتهم الخاصة . وللسبب نفسه ايضا فهم يرفضون بشدة محاولة ربط مسرحياتهم وأعمالهم وتفسيرها في ضوء أية ايديولوجية سياسية أو اجتماعية خارجة عن العمل الفني ذاته بل ان بعضهم استنكر حتى ان يعد من كتاب اللامعقول لاعتقاده بأنه لا يفكر بطريقة منهجية حينما يكتب ، فلا مبرر اذن لهذه النعوت .

ومهما قال اللامعقوليون عن طريقتهم الخاصة المميزة في التعبير فان مسرح اللامعقول لا يمكن أن يفهم كفن جديد قائم بذاته ، فن لا جذور له ، وليس متأثرا بأشكال فنية أخرى ، بل على العكس فان فهمه السليم لا يتم الا باعتباره مركبا فنيا معقدا واختزالا فكريا ذكيا لنماذج فنية سابقة . ان الرحم التأريخي لميلاده يمتد بعيدا الى مجموعة من التقاليد الادبية والمسرحية ، في العصرين اليوناني والروماني ، كتقاليد شعر الهزل ، وأدب الاحلام والكواليس ، والمسرح الايمائي ، والى تقاليد الكوميديا الايطالية في عصر النهضة ، والى المسرح الرمزي والاخلاقي في القرون الوسطى ، والى المسرحيات الدينية في الادب الاسباني ، وحتى الى أقدم الطقوس الدينية في اليونان عندما كانت هي والمسرح جزءا واحدا لا ينفصل . وليس من قبيل الصدفة أن يعتبر « جينيه » ، وهو أحد أساتذة مسرح اللامعقول ، مسرحياته محاولة لاحياء بعض العناصر الطقسية التي تقام في القداس نفسه ... ثم الى تأثير أشكال وتقاليد فنية حديثة متعددة كتأثير سترندبرج وجيمس جويس وكافكا والسينما الصامتة وتأثير الحركة الدادية والسريالية .

ان كل تلك الاشكال الفنية والفكرية التي ذكرناها

والتي ساعدت على نشأة اللامعقول ما كان يمكن أن يكون لها دور لولا المنـــاخ الروحي والفكري لعصرنا . كما ان التأثر بتلك الاشكال الفنيـــة المتعددة لم يفقـد مسرح اللامعقول أصالته وجدته . فهو ليس صورة مكررة لتلك التقاليد الادبية ، انه على أحسن تعريف ظاهرة فكرية لما بعد الحرب ، وشكل من أشكال التعبير عن أزمة الفكـــر المعاصر في هذه الفترة الزمنية المعينة. ان اصالة اللامعقول جاءت نتيجة طبيعية لطريقة التعبير الخاصة المميزة التي يمتلكها كتابه ، والتي يتيسر فهمهـــا في ضوء فكريـــة اللامعقولية عن العالم وانعكاسها في أعمالهـم المسرحية .

ولهذا نسأل : ماذا تعني هذه « الغرابة » في مسرحياتهم وماذا يعني هذا « الغموض » في الحوار الذي يكتبونه ؟ ان السؤالين — في طبيعتهما — وجهان لقضية واحدة .

ولنأخذ مسرحية ( اميديه ) ليونسكو : زوجان في عمر متوسط يعرضان في موقف يبدو واضحا انه لم يـؤخذ من واقع الحياة ، يعيشان في شقة واحـدة منعزلة لـــم يتركاها لعدة سنين . تكسب الزوجة عيشها من العمل على لوحة مفاتيح للتلفونات ، بينما يكون الزوج مشغـولا بكتابة مسرحية لن يستطيع أن ينجز منها سوى بضعـة أسطر أولى . وفي غرفة النوم جثة ملقاة ربما من سنين عديدة ، لكن الشيء الغريب فيها انها تتضخـم باستمرار حتى تندلق قدم الجثة بشكل ملحوظ من غرفة النوم الى غرفة الاستقبال مما يجعل مـــن المستحيل بقاء اميديه وزوجته في شقتهما معا فيضطران الى تركها . انها مسألة خيالية ، ووهمية ، وغير مألوفة ، كما انهـا موقف غير محتمل ، ربما رآه بعضنا بين حين واخر في الاحـــلام والكوابيس . اننا اذن ازاء جو مثيـــر بلامعقوليتـه ، بلاواقعيته . ان يونسكو كما هو واضح يستفيد هنا من مادة ( حلم ما ) كموضوع لمسرحيته . والاحلام ليســت أفكارا متأصلة ، ولا تتطور بشكل منطقي ، بل هي تنمـو بشكل تداع وانها صور موحية . ان تضخم الجثة فـي مسرحية اميديه يمكن أن يفهم كصورة شعرية . والاحلام أو الصور الشعرية في طبيعتهما غامضة وتحمل وفـرة من المعاني المتناقضة في وقت واحد بحيث يكون من العبث أن تسأل : ماذا تعني هذه الجثة ؟ يمكـــن أن تكون رمزا لاخطاء الماضي أو تعني تصـــاغر الحب بين الزوجـــين واضمحلاله أو موته ، ونحس أو شر .. الخ . ويمكن أن تخضع لكل تلك المعاني والافكار بل ان قابليتها المتجـددة المتنامية الواسعة لبعث كل تلك المعاني الكثيرة هي التي تمنحها قوة الصورة الشعرية الموحية . وعلى الرغم من ان ليست كل مسرحيات اللامعقول تستخدم الاحلام مـادة لموضوعها ، غير اننا نلاحظ ان الصورة الشعرية الموحيـة هي الاساس في كـــل مسرحيات اللامعقول كالكراسـي والخرتيت والملك يموت ليونسكو ، و ( الجلادان ) لارابل ، او ( قصة حديقة الحيوان ) لالبي ، أو ( الاستاذ تاران ) لادامو ف او غيرها... ان مسألة تأكيد مسرحية اللامعقول على الابتعاد عن الاشكال التقليدية الى الاحلام والصـور الشعرية المعقدة الموحية التي تضعف حتما الوضـــوح والرؤية والتي تفتقد الى الخاتمة أو الحل المنطقي المتقـن الذي اعتدناه في المسرحيات الرصينة يعود بالاساس الـى الفلسفة التي يتبناها كتاب اللامعقول عن العالم . وكمـا ذكرنا فانهم لا يعتقدون بوجود حلول جدية متقنة للكثيـر من قضايا العالم بل انهم يعتقدون ان الاجابة الجدية عن صور عالمنا المعاصر تكون بالاهتمام بشكل رئيسي في التعبير عن القصور في استيعاب طبيعة العصر ، وفي تصـوير الاخفاق المزري الذي يعيشه انسان العصر لفهم نفسه وحـــل قضاياه ، وبالتالي في تصوير العزلة والغربـــة الروحية التي ينوء بها الانسان في هذا العالم اللامعقول ، والتعبير عن اخفاقه في التفاهم مع الاخرين .

ان فقدان الوضوح والمعاني في أعمال اللامعقوليين يقودنا الى الوجه الاخر من القضية . الى مسألة الحوار واللغـــة .

لقد شن اللامعقوليون هجـــوما عنيفا على اللغة ، وعلى الاشكال والقوالب اللغوية المتحجرة العديمة الدلالة ، ذلك لانهم يرون ان اللغة قد فقدت وظيفتها الاساسية في التفاهم وتوصيل المعاني الى الاخرين واستحالت الى مادة لملء الفراغ الحاصل بين الناس بسبب عزلتهم واجتـرار همومهم الخاصة ، ولهذا فهم يضعون المسألة بهـــذا الشكل : ان الاحاديث التي تتبادل في الحفلات والتي تبدو


هذا الشهر :

# بدر شاكر السياب

**مختارات من شعره**

قدم لها :

**ادونيس**

منشورات دار الاداب

لاول وهلة نزعة الى التساؤل عن الطقس والكتب الجديدة والصحة تنجلي فجأة عن ثرثرة لا معنى لها . ان الناس الذين يتحدثون عن الطقس مثلا ليست لديهم نية حقيقية في جدية الحديث عن موضوع معيّن مشترك ، ولهذا فانهم يستخدمون اللغة كوسيلة لملء الفراغ بينهم وتغطية حقيقة كونهم لا يملكون رغبة جدية في الحديث معبعضهم، وهكذا تتحول اللغة من وسيلة للاتصال الجدي بين الناس الى مادة لملء الفراغات القائمة بينهم . وبالمثل فان اللامعقوليين يرون ان المحاولات المثابرة والنشاطات الانسانية المختلفة كالفلسفة وغيرها التي تسعى الى وضع تفسير معين لهذا الكون اللاغائي واللامعقول تبدو كلها من وجهة نظرهم محض هراء . وهكذا تكون مسرحيات اللامعقول ــ من هذه الزاوية ــ أعلى أشكال الواقعية لانه اذا كانت لغة البشر في التخاطب في واقعها هذرا وعبثا ولا تحمل معاني جدية فان المسرحية الرصينة بحوارها المهذب المنطقي تكون غير واقعية ، بينما تصبح مسرحية اللامعقول صورة دقيقة عن الواقع ، ولهذا أيضا فان مسرح اللامعقول في هذا العالم الذي غدا لا معقولا ايضا يعتبر أشد التفاسير واقعية للكون وصورة دقيقة عنه .

ان نقد مسرح اللامعقول للغة يعكس في الواقع نفس الاهتمام الذي توليه الفلسفة المعاصرة للغة في مساعيها لازالة الغموض عنها وجعلها وسيلة لاكتشاف الواقع وهذا لا يدعونا بالطبع الى أن نقول ان كتاب اللامعقول يحاولون ترجمة مسائل الفلسفة المعاصرة على شكل مسرحيات بل ينبغي أن يقال بالضبط ان الفلاسفة وكتاب اللامعقول يستجيبون لنفس المواقف الفلسفية والروحية لعصرنا ويعكسون نفس الاهتمامات بها أيضا . كما ان تأكيد مسرح اللامعقول على مبدأ العبثية للظرف الانساني يجعله مساهما الى جانب الفلسفة الوجودية لهيدجر وكامو وسارتر في التعبير عن كثير من القضايا التي تشغل بال المفكرين في هذا العصر . ان مسرح اللامعقول كأية مفاهيم فكرية أو أدبية قامت انعكاسا عن واقع معين ، ولذلك فان بقاءه مشروط بوجود المبرر الموضوعي له . حقا ان مسرح اللامعقول يهاجم بالاساس اليقينات الثابتة للمجتمع لكنه يستهدف من وراء ذلك ــ كما يرى كتابه ــ أن يهز رواده ليضعهم وجها لوجه مع الحقائق المضنية للموقف الانساني وليحملهم بالتالي على قبول الوضع البشري كما هو بكل غموضه وعبثه وباباه وشرف ومسؤولية خصوصا وان غموض الوجود الانساني لا جواب له وان الانسان ، مهما قيل عنه ، فهو وحيد في عالم لامعقول .

البصرة ــ الجمهورية العراقية — **محمود عبد الوهاب**


# السفير

الباباً

**آخر رواية للكاتب الشهير**

## موريس ويست

رواية الحرب القذرة في فيتنام ، كما يرويها سفير اميركي عين في سايغون وشاهد في اول يوم وصل فيه انتحار راهب بوذي .. وهو يقص هنا قصة تلك المنطقة التي تمزقها الخلافات السياسية والدينية والعسكرية وتدخل الولايات المتحدة الاميركية في هذا كله . ويعيش هذا السفير مأساة ضميرية اذ يكون عليه ان يختار بين رجل يحترمه ( هو الرئيس كونغ ) وبين طغمة من الجنرالات المتآمرين الذين تدعمهم المخابرات السرية الاميركية .. انه الصراع بين الاخلاق والانتهازية السياسية ، ولكنه كذلك مأساة شخصية يخرج منها السفير مجروحا في ضميره بحيث يهجر مهنته الدبلوماسية ليلتمس الخلاص الروحي بالقرب من راهب ياباني ..

وقد نجح موريس ويست ، وهو مؤلف رواية « محامي الشيطان » الشهيرة ، في تصوير حرب الفيتنام والدور الذي تلعبه فئة من الشخصيات المختلفة الغامضة ، وفي التعبير عن نزعة انسانية رائعة جعلت هذه الرواية في طليعة الروايات المعاصرة .

**يصدر هذا الشهر**